عروض كتب

Book Précis

العودة إلى سورية

رحلة في بلد مضطرب

Rückkehr nach Syrien

Eine Reise durch ein ungewisses Land

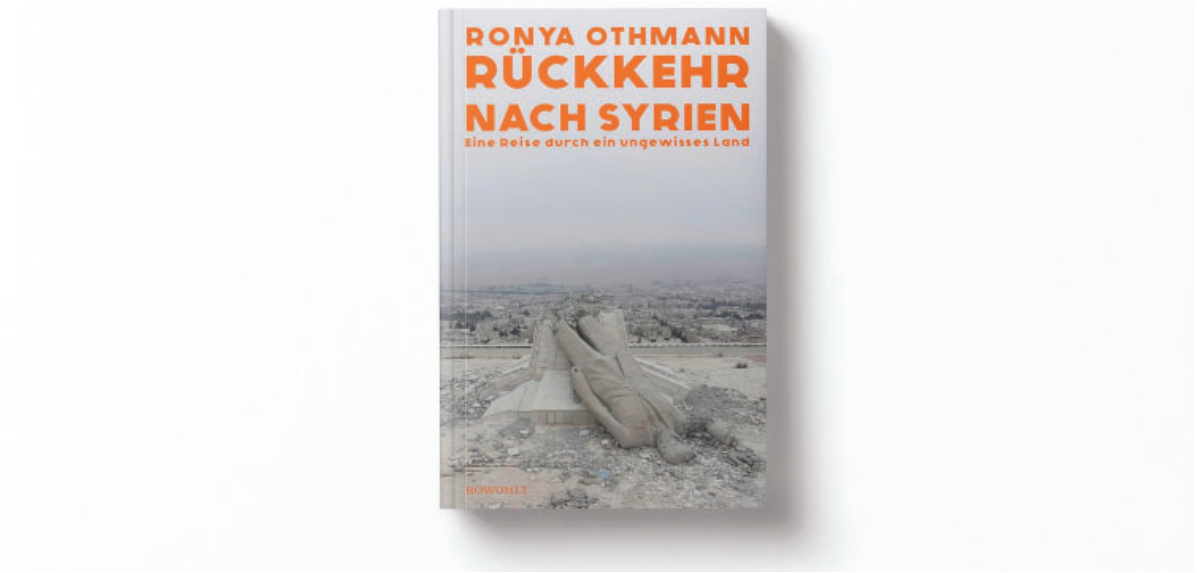

العنوان:

العودة إلى سورية: رحلة في بلد مضطرب

Rückkehr nach Syrien: Eine Reise durch ein ungewisses Land

المؤلف: رونيا عثمان (Ronya Othmann)

لغة الكتاب: الألمانية

الناشر: Hamburg und Berlin: Rowohlt Verlag (2025)

عدد الصفحات: 112

يُعدّ الكتاب عملًا مؤثرًا يمزج بين أدب الرحلات والتحليل السياسي والتأملات الذاتية، في السياق السوري بعد سقوط النظام البائد. تنطلق الكاتبة، وهي ألمانية كردية من أصول سورية، في رحلة إلى أرض أجدادها لتختبر واقع بلدٍ هيمنت عليه الحرب والنزوح والأزمات الإنسانية في السنوات الأخيرة. لا يقتصر هدفها على توثيق رحلتها فحسب، بل يتعداه إلى البحث عن جذورها وفهم واقع سياسي وثقافي معقد. خلال تجوالها في مناطق مختلفة من سورية، تلتقي الكاتبة بسوريين تأثرت حياتهم بتداعيات الحرب. وتتحدث مع السكان والناشطين وسوريين من أقليات عرقية ودينية. وتكتسب أصوات الكرد الإيزيديين أهمية خاصة في الكتاب، فغالبًا ما تُذكر تجاربهم عرضًا في عدد من السرديات الغربية حول سورية في السنوات الأخيرة. ترسم الكاتبة، عبر حوارات، صورةً متعددة الأوجه للبلاد، بما يتجاوز الروايات السياسية المبسطة، مركزةً على أسئلة الوطن والهوية، فبصفتها فردًا من "الشتات الكردي"، تتنقل بين فضاءات ثقافية مختلفة. لقد نشأت الكاتبة في ألمانيا، وبقيت سورية جزءًا مهمًا من تاريخ عائلتها. هذه الازدواجية الهويتية منحتها رؤيةً خاصة، فهي في آنٍ واحدٍ من الداخل ومن الخارج.

هكذا، تتحول الرحلة إلى استكشافٍ للذاكرة الشخصية وتاريخ العائلة والتاريخ الجمعي. علاوةً على ذلك، يتعمق الكتاب في آثار الحرب والنزوح، فتصف الكاتبة المدن المدمرة والقرى التي هُجّر سكانها، وآثار العنف التي تركت بصمتها على المشهد وحياة السوريين. في الوقت نفسه، تكشف أيضًا عن صمود السوريين، فعلى الرغم من الصعوبات الاقتصادية وعدم الاستقرار السياسي والتجارب المؤلمة، يحاولون التأقلم مع حياتهم اليومية وبناء رؤى للمستقبل. هذا المزيج من الأمل وخيبة الأمل يطغى على معظم أجزاء الكتاب الذي يتميز بأسلوبه الواقعي والشاعري في آنٍ واحد. تجمع الكاتبة بين الاستقصاء الصحفي والحساسية الأدبية، فملاحظاتها دقيقة ونقدية، من دون إغفال البُعد الإنساني. الكتاب غني بالمعلومات ومؤثر عاطفيًا، وتتجنب كاتبته الإجابات السهلة، وتُبرز بدلاً من ذلك تناقضات وشكوك تطبع المشهد العام في سورية الراهنة. عمومًا، يوثق الكتاب، باللغة الألمانية، أثر العنف السياسي في ذاكرة مكونات اجتماعية سورية، ويُقدم فهمًا أعمق للواقع السوري الراهن. في الوقت نفسه، يعدّ الكتاب بحثًا شخصيًا للكاتبة عن الهوية والانتماء، وشهادة أدبية على مدى ترابط سيرة ذاتية بأحداث تاريخية معاصرة. وتنجح الكاتبة في الربط بين التحليل السياسي والتجربة الشخصية، مقدمةً صورة لا تخلو من الأمل في بلدٍ مرّ بمرحلة مأسوية.